شخصية الكردى

مبارك حسن خليفة

تنتج الشخصية عن عوامل كثيرة عظيمة التنوع والاختلاف ، ولكنا نستطيع أن نقسمها الى قسمين عامين : عوامل التكوين الفردى وعوامل البيئة • ويدخل فى القسم الاول طبيعة الفرد ، واستعداداته ونزعاته ، محاسنه ومساوئه ، كما يدخل عامل الوراثة والتكوين العقلى وطبيعة الجهاز العصبى والبنية وغير ذلك • ويدخل فى القسم الثانى عوامل البيئة • تأثير ظروفها الزمانية والمكانية ، واثر حالة العصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والخلقية • كما تدخل بيئته الخاصة •• مولده، ابواه ، رفاق صباه ، والأوساط الخاصة التى عاش فيها ، واحداث حياته الهامة . ونجد بعض الشخصيات يتساوى فيها تفاعل هاتين الناحيتين ــ عوامل التكوين الفردى وعوامل البيئة ــ ونجد بعضها يزيد فيها احد العاملين ويطغى على الآخر (١) •

والشاعر عبد الله حسن الكردى الذى نبحث عن شخصيته ، وصفه الشاعر محمد المهدى مجذوب بقوله كان « رجلا ربعة ، اقرب الى القصر ، ابيض اللون ، يغير شيبه بالخضاب ، عيناه كبيرتان فيهما بريق الدهشة والغضب والألم ، وكان ضحاكا ، ولكن العينين ، كانتا فى شغل بالتأمل فى عالم مثالى • كان مجتمع الجسم ، سوى الخطو ، بعيد الثقة بنفسه ، لانه شاعر ، والشاعر كما رأى واعتقد ، فوق الناس ، يحمل مالا يحملون ، وهو مقاتل وحده ، بيده لواؤه ، وحوله قومه صرعى جهالة واستعمار • ولم يكن ميسور الحال ، شأنه شأن الموظفين الامناء حتى اليوم • ولقد كان يحتمل الالم والسأم والعزلة

---

١ ــ محمد النويهى ، شخصية بشار ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الاولى سنة ١٩٥١ ــ المقدمة .

الروحية ، ويلبس لكل ذلك دروعامن الشعر البطولى والشوق الصوفى ويهتز للسماح فى التعبير والاخلاق » (١) .

وكتب محمد عبد الماجد احمد« والاستاذ الكردى اذا انصفناه ، شاعر موهوب ، بقدر ما فى هذه الكلمة من معنى ، وقد اوتى عبقرية شاملة لاتجارى ، وذكاء متوقدالا يبارى ، وقلبا واعيا لا يدرك شأوه ، جمع الى ذلك شاعرية فذة،لايعروها تكلف وتمكن عميق فى اسرار اللغة واصول البيان ،واطلاع واسع على ادب الاقدمين . وهو الى ذلك سريع الخاطر ، حاضرالنكتة ، محب للاجتماع » (٢) .

وحدثنى الشيخ المجذوب جلال الدين قال « كان ضحّاكا ، حاضر البديهة ، محبا للنكتة ، بيد انه كانحاد الطبع مع خصومه وزملائه فى مجال العمل .وفى الدامر كان ملازمالمجالس العالم والذكر ، مواظبا على الصلوات ، وقال عن ارائه السياسيةانها لم تكن « مركزة » ولم يعرف عنه التعصب لرأى سياسى معين » (٣) .

ويمكن تلخيص هذه الصفاتفى الآتى : كان الكردىسوى البنية، غاضبا ، متألما ، مثاليا ، واثقا بنفسه،يعتقد أنه فوق الناس جميعا ، فقيرا، ذا خلق سمح ، ذكيا حاد الطبع ،متدينا ، محبا للاجتماع ، حاضر البديهة ، شديد العداوة مع خصومه .

ويمكن تلخيص العوامل التىالتحمت معا لتكوينهذه الشخصية، على هذه الصورة ، فى الآتى :

١ ــ أصله ونشأته

٢ ــ عمله

٣ ــ ثقافته

٤ ــ عدم الانتماء القبلى

---

١ ــ جريدة الثورة ٢٧ر٣ر١٩٦٤ .
٢ ــ مجلة الثقافة ــ مصرية ١٩٤٥ ــ المجلة ممزقة .
٣ ــ مقابلة شخصية .

٥ ــ فقــره
٦ ــ عدم تقديره
٧ ــ حياته

أصله ونشأته :

فى ملف معاش الشاعر الموجود فى وزارة الخزانة (المالية) عثرنا على شــهادة طلبتها الســلطات ،لادراج اســم الكردى فى لائحــة المعاش موقع عليها من ثلاثة مواطنين بتاريــخ ١٩١٢/٧/٦ ورد فيهــا « نحن الموقعــين ادناه نشــهد بأن عبد الله افنــدى حســن الكردى الكاتب بمديرية البحر الاحمر الآن ،هو مولود بكسلا سنة ١٨٨٥ مــن أبوين (كــردى ومصرى) فوالده يدعى حسن اغــا على وهو كردى الجنس من بالو التابعة لولاية.. (١)وقــد حضر مستخدمــا بوظيفــة باوكباشى فى الحكومــة السابقــةولا زال مستمرا بالخدمــة الى أن توفى بكسلا اثناء حصار الدراويش.ووالدته مصرية الجنس تدعى فاطمة بنت على من بلدة الزقازيق التابعــةلمديرية الشرقية وقد حضرت متزوجة من والده المذكور من مصر ، وهى الآن موجودة على قيــد الحياة . ولعلمنا تماما بما ذكر حررنا هــذه الشهادة فنرجــو اعتمادهــا تحت مسئوليتنا » .

وعثرنــا فى نفس الملف على رسالة بعث بها الشــاعر الى مأمور المحس ، وكــان الشــاعر يعمل فى مركز دلقــو ، عرض فيهــا مشكلة خاصــة بوضعه فى المعاش فى حرف (أ) الخاص بالسودانيين مطالبا بأن يوضــع فى حــرف (ب) الخــاص بالاجانب وفيها يقــول « انى لست سودانيا وان كان مســقط رأسى كســلا ، لانى ولدت مــن ابوين احدهما كردى والآخر مصرى ، ولم يحضر والدى للسودان حبا للسكن فيه ولا لتعاطى التجارة وانما جــاء والدى لاداء خدمــة عســكريــة

---

١ ــ اسم الولاية غير واضح لان الورقــة ممزقة .

يقضيها ويعود لبلاده . وفيما هو كذلك اذ بالفتح المهدى يتناول انحاء السودان كلها فقتل مع من قتل وراح ضحية خدمة الحكومة ولذا فخليق بالمالية ان تعاملنى فى لائحة المعاشات تحت حرف (ب) وليس تحت حرف (أ) كما فعلت ذلك مع ان شهادة ميلادى التى لديها صريحة جدا وليس فيها ادنى شائبة تدل على انى (سودانيا) حتى تعاملنى اسوة باهالى السودان » .

ويتضح من هاتين الوثيقتين ان الشاعر من اصل كردى ــ مصرى، وقد تمسك بأصله هذا جريا وراء الامتياز الذى يمنحه الاجنبى ، يسنده فى ذلك قانون المعاشات لسنة ١٩٠٤ ، والذى تقول فيه المادة الرابعة والعشرون الآتى :

١ ــ يمكن للموظف الذى يعمل تحت لائحة المعاش (أ) ان يتقاعد فى أى وقت بعد ان يبلغ سن الخامسة والخمسين ، على ان سن التقاعد الرسمية هى الستون .

٢ ــ يمكن للموظف الذى يعمل تحت لائحة المعاش (ب) أن يتقاعد عند بلوغه سن الخمسين على أن السن الرسمية للتقاعد هى الستون .

وتقول المادة الخامسة والعشرون :

١ ــ الموظفون الذين يعملون تحت لائحة المعاش (أ) يستحقون المعاش عند التقاعد بعد سن الخامسة والخمسين اذا قضوا فى الخدمة مدة خمسة وعشرين سنة ، ويحسب لهم المعاش بنسبة واحد على ستين من مرتبهم لكل سنة قضوها فى الخدمة.

٢ ــ الموظفون الذين يعملون تحت لائحة المعاش (ب) يستحقون المعاش عند التقاعد بعد سن الخامسة والاربعين اذا قضوا فى الخدمة مدة عشرين سنة ويحسب لهم المعاش بنسبة واحد على ثمانية واربعين من مرتبهم لكل سنة قضوها فى الخدمة (١) .

١ ــ The Government Pension Ordinance, 1904, Laws of the Sudan, Volume I, P. 166.

وواضح ان هاتين المادتين تعطيان الاجنبى بعض الامتياز ، فمن الممكن ان يتقاعد وهو فى سن تمكنه من العمل فى اى مرفق آخر ، بالاضافة الى ان معاشه سيكون اكبر من معاش السودانى .... ولكن الكردى لم يفلح فى مرماه ، ولم نعثر على رد من المسئولين على احتجاجه . وانخرط الكردى فى حياته ، سودانيا يحن الى اصله الكردى .

توفى حسن كردى ولما يتجاوز عبد الله السنتين من عمره فقام بتربيته احد اقاربه ويدعى محمد حمو ، وكان قد دخل السودان مع حسن كردى فى وقت واحد ، وكان يعمل بالتجارة . وحدثتنى ابنة الشاعر عن جدها لابيها ، قالت : يروى عنه انه كان ميسور الحال وكان منزله ملتقى السراة من اهل مدينة كسلا الا ان معظم ثروته تعرضت للسلب والنهب ايام المهدية .

وبعد وفاة والد الشاعر هاجرت أسرة حمو ومعها عبد الله واخوته وامه الى سواكن ، ولكن لم يطب لاسرة الشاعر المقام فى سواكن فارتحلت الى طوكر ، وفيها اتم الكردى تعليمه الاولى وكان يتردد على سواكن فى أيام العطلات . ولما أتم تعليمه الأولى غادر طوكر الى سواكن ليلتحق بمدرستها الابتدائية ويعيش فى كنف السيد حمو (١) .

وفى سواكن بدأ تتفتح شاعريته المبكرة وكانت بداية ذلك كما حدثنى الشيخ المجذوب جلال الدين ، عندما مدح السيد تاج السر الميرغنى بأربعة ابيات من الشعر « وكانت دلائل النجابة تلوح عليه وهو صبى حتى توسم كل الناس حسن المستقبل ، وانه ممن يفيدون البلاد بذكائهم ونجابتهم » (٢) .

عمله :

يبدو انه لم يكمل تعليمه لاننا عثرنا على تقرير كتبه احد رؤسائه يقول فيه انه بلا شهادة مدرسية (٣) ، وكان اول عمل له فى حكومة

---

١ ـ مقابلة شخصية مع ابنته .
٢ ـ جمعه سعد ميخائيل ، شعراء السودان ، مطبعة رمسيس بالفجالة بمصر ، ص ١٧٥ .
٣ ـ الملف رقم F. A. 403 قسم المعاشات ، وزارة الخزانة .

السودان وظيفة مساح Landmeasurer (١) فى مديرية البحر الاحمر سنة ١٩٠٦ وفى سنة١٩٠٧ ترقى فصار جنزرجيا Chainsman وكانت تلك ترقيته الاولى والاخيرة (٢) حتى احيل الى المعاش سنة ١٩٤١ غير انه كان يتلقى زيادة فى المرتب بصفة منتظمة (٣) • وكان مرتبه الذى عين به سنة ١٩٠٦ هو ست وثلاثون جنيها فى العام ، وبلغ مائتين وسبعةوعشرين جنيها عند تقاعده سنة ١٩٤١ •

وفى هذه الفترة عمل كاتبا ،وكاتب تسجيلات ومحاسبا ، وتنقل فى بقاع السودان المختلفة فعمل فىمديرية الصعيد وبحر الغزال والخرطوم وجبال النوبة ، والنيل الازرق والشمالية وبربر ودنقلا ، وتنقل فى مدن تلك المديريات فعمل فى طوكر وكادقلى والدامر ومروى ــ دنقلا ودلقو والدبة وحلفا ومدنى وغيرها من البلاد •

وقد انتهت به حياة التنقل الى مدينة الخرطوم بحرى بعد ان احيل الى المعاش وعمل مؤقتا فى التموين فى سنى الحرب حتى توفى فى ١٩٥٢/٣/٧٢ ودفن فى مقابر ابى نجيلة (٤) •

ثقافته :

عرفنا ان الكردى تلقى تعليمه الاولى فى طوكر والتحق بمدرسة سواكن الابتدائية ثم انتظم فى سلك موظفى الحكومة سنة ١٩٠٦ وكان عمره واحدا وعشرين سنة ، ومعنى ذلك ان الكردى لم يكن من جيل المشايخ الذين تلقوا تعليمهم الدينى فى الخلاوى أو فى الازهر ، وعاصروا المهدية ثم واصلوا مسيرتهم قضاة ومدرسين بعد الفتح ، ولم يكن كذلك من الجيل الذى تخرج فى كلية غردون ، وعليه فالكردى كان متفردا فى هذا المجال بين الشعراء المعاصرين له •

---

١ ــ الملف رقم F A. 403 قسم المعاشات ، وزارة الخزانة .
٢ ــ لعل المقصود قياس لان مساح ترجمة لكلمة Surveyer
٣ ــ لاحظت أن كلمة ترقى Promoted مكتوبة بقلم الرصاص بينما كل مادة الصحيفة مطبوعة بالآلة الكاتبة .
٤ ــ الثورة ، ٢٧ر٣ر١٩٦٤ .

ولما كان الكردى شاعرا مطبوعا ، تواقا الى العلم والمعرفة ، فقد اجتهد فى تثقيف نفسه ، وقد ذكر سعد ميخائيل ان الكردى « نشأ مغرما بحب الأدب ، وعكف من صغره على مطالعة مفردات اللغة حتى حوت مكتبته ما لا يوجد عند غيره فى السودان » (١) • وقد أكد ذلك فضيلة الشيخ عبد الله السنوسى ، وابنة الشاعر التى ذكرت ان والدها كان يحرص على حمل كتبه معه انى نقل ، وقد احترق معظمها فى داخل قطية فى مدينة كادوجلى • ولكن القدر الذى وجدناه منها فى حيازة ابنته يعكس لنا لون الثقافة الذى كان يفضله الكردى : ومن تلك الكتب ديوان الحماسة ، العقد الفريد ، زهر الاداب ، الحديقة ، فقه اللغة ، الفصول والغايات ، الطرق الادبية لطلاب العلوم العربية ، تفسير القرآن ، الحزب الاعظم والورد الافخم ، الخلق الكامل ، المثل الكامل ، نور اليقين ، تمام الوفاء ، سعادة الدارين ، نور القلوب ، حياة صلاح الدين •

عدم الانتماء القبلى :

ذكرنا ان الشاعر من اصل كردى ـ مصرى ، ومعنى ذلك انه لا ينتمى الى قبيلة من قبائل السودان « وفى بلاد كالسودان يعتز فيها الانسان بعصبيته وبالجماعة التى ينتمى اليها ، لابد ان يكون عزيزا على النفس ان يجد المرء نفسه مفردا لا ينتمى الى جماعة ولا يستند الى رهط أو عشيرة » (٢) •

وللسودانيين ، بصفة عامة ، رأى فى ذوى البشرة البيضاء ، وهم عندهم اقسام ، لهم اسماء مميزة ، فالاوربى « خواجة » والمصرى « حلبى » وتعنى « غجرى » ، وقد يطلقون هذه التسمية على كل صاحب بشرة بيضاء من غير الاوربيين ، وكثيرا ما تبدل كلمة

---

١ ـ شعراء السودان ، ص ١٧٥ .

٢ ـ محمد عوض محمد ، السودان الشمالى ، سكانه وقبائله ، الطبعة الثانية ١٩٥٦ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ١٦ .

« أبيض » بكلمة « احمر » وهنالك مثل يجرى على الالسن وهو قولهم « الحمره اللباها المهدى » اى اللون الاحمر الذى كرهه المهدى وثار على اصحابه ، اشارة الى الاتراك ومع ذلك فهم لا يميلون الى الشخص الذى يتشبه بغير اصله وفى ذلك يقولون « التركى ولا المتورك » اى الافضل ان يكون الانسان تركيا لا متشبهاً بالاتراك .

وقد اختص ابراهيم فوزى الجعليين بهذه الصفة حين قال انهم « شديدو البغض للمصريين وكل ابيض ولهم اعتقادات فى غاية السخافة منها ان بياض البشرة يدل على ان صاحبه غجرى لا اصل له وان الانسان لايكون ذا نسب أوحسب الا اذا كانت بشرته سوداء ، وكل ابيض محتقر عندهم حتى انهم لا يسمونه الا (الجعيدى) أى الغجرى » (١) .

وقد رد عليه الدكتور عبد الله الطيب مبينا ما وقع فيه من تناقض حين ادعى ان الجعليين رحلوا من صعيد مصر ويرى الدكتور عبد الله ان من يقيم بارض مصر قل أن يرحل عنها، ويقول الدكتور عبدالله « ومن عجيب تناقضه قوله من بعد (وهم شديدو البغض للمصريين ...) ويعلل ذلك بان ابراهيم فوزى نثر من حقده على الجعليين بوجه خاص فى تضاعيف كتابه شرا كثيرا ، وانما كره منهم العروبة (٢) .

ويمكن ان تتصور حال الكردى الذى ولد سنة ١٨٨٥ عندما كانت الروابط القبلية على اشدما تكون ، تلك الروابط التى شجعها الاستعمار فيما بعد تشتيتا للشمل ، وابعادا للمواطنين عن فكرة القومية السودانية .

ولا بد ان يكون الكردى قدعانى من عدم الانتماء القبلى ، ومن بشرته البيضاء ، وهنالك من الادلة ما يقف شاهدا على ما نقول ،

---

١ ـ ابراهيم فوزى ، السودان بين يدى غردون وكتشنر ، طبعة ١٣١٩ ، ج ١ ص ٣١٤ .
٢ ـ عبد الله الطيب ، أصداء النيل ، الدار السودانية ، الطبعة الثالثة ، المقدمة ، ص ٢٠ .

فالشـاعر صالح عبد القادر هجـا الكردى بقصـيدة طويلة ورد فيها بيت من أقذع أبيات الهجاء يقـول فيه :

وهـب انـك كـردى .... الكرد والنترا (١)

وتنشر هذه القصيدة ويقرأها الناس ويروونها ويقفـون طويلا عنـد هـذا البيت ، متنـدرين ،ساخرين ، ويقرأها الكردى ويتألم ويحزن ويهجو صالحا هجاء مرا •

ودليلنا الثانى شعر الكردى نفسه اذ يعبر عن هذه التفرقة وهذا الاضطهاد حين يقول :

اوذيت من فئة فى الناس باغية تخفى الضغينة لى والله يبديها
وتزدرى البيض من ابناء جلدتها كأنمـا البيض عبـدان مواليها

اذن لابد أن يترك هذا الازدراء أثرا فى نفس الشاعر ، اذ جعله يحس أن جذوره لا تضرب فى أعماق أرض السودان •

فقـــره : (٢)

ذكرنا أن الكردى كان يتيما وان والده فقد ثروته ابان الثورة المهدية، وانه كان موظفا بسيطا يكدح وراء الرزق ، تجـوب به الابل القفـار والصحارى ، وينهب به القطار المسافات نهبا :

فى كـل يوم لى بظعـن رحلـة ذات السنام غـدت بها حدبار
وابن البحار يجوب بى فى نقنق كدحـا لعيش لايـزال حتـار

ويتبدى فقره فى شكوى الدائنين لله سبحانه وتعـالى وطلبه أن يدفـع عنه غريم الـدين بالتى هى أحسن :

وادفع غريـم الدين عنى بالتى ان همّ بالابـراق والارعـاد
اسرى دراهم عنـده معـدودة لولا فككت من الاسـار وثاقى
فافتح بما يرضى الغريم فربما كرب امض النفس بالارهـاق

---

١ ــ لم أعثر على القصيدة كاملة ، ولـكن الكثيرين يحفظونها ويروونها حتى الآن .
٢ ــ قال لى الاستاذ محمد عبد الماجد أحمد أن الكردى لم يكن فقيرا ، وانما كان طموحا، وما هذه الشكوى الا دليل على تطلعـه الى حياة أفضـل .

ولما أحيل الى المعاش وانخفض مرتبه ، ساء حاله وعيل صبره ، فكتب رسالة الى الحاكم العام السير روبرت هاو يشكو فيها السكرتير الادارى ، السير روبرتسون ، الذى كرفض طلبا تقدم به الشاعر لاعطائه قطعة أرض يزرعها فى طوكر ، على الرغم من أن السلطات انتزعت منه ثلاثين فدانا من الارض للصالح العام ، والذى يطلبه خمسة أفدنة لا أكثر ، وهذه الرسالة ، بجانب أنها تكشف عن نفس الكردى الثائرة ضد الانجليز ، مما سنتعرض له فى غير هذا المكان ، فهى تقف شاهدا على فقره ، وقد جاء فيها « انى رجل متقاعد بالمعاش ، وعندى أولاد أدفع لهم مصاريف مدرسية وأسرة كبيرة أعولها ، ومعاشى ليس كافيا للصرف علينا جميعا ، وظروف الحالة الحاضرة عصيبة ، وخصوصا فيما يتعلق بالمعيشة ، ومن جراء ذلك فكرت فى أن آخذ قطعة أرض فى بلدى طوكر ، على أن يباشر زرعها وملاحظتها بالنيابة عنى صهرى المقيم هناك . أجل فكرت فى هذا لان الربح من الزراعة يزيد معاشى ويجعلنى لا أشعر بالعسر المالى الذى أعانيه الآن ، ويمكننى الصرف على نفسى وعلى أولادى وعلى هذه الاسرة الكبيرة بغير تعب » (١)

يحس الكردى بوطأة الفقر والحاجة ، فيطالب بحقه ، ويلهث خلفه ، ولكن عندما يخلو الى نفسه ، وهو فى حالة من الهدوء ، يعتبر الفقر قدره الذى كتب له ، وقسمته التى أرادها له الله :

ولا تقل ساء حظى ان عدتك منى ... حظ الكريم من الدنيا تجنيها
الله قسم ارزاق الورى وقضى ... بكل معجزة حار النهى فيها

عدم تقديره :

أحس الكردى بأنه لم يجد التقدير الذى وجده الشعراء المعاصرون له ولم تحفل به الاوساط الادبية احتفالها بهم ، والقدر الذى ناله من التقدير كان فى حدود ضيقة ، عند أناس جمعته بهم حلقات العلم والذكر كما حدث فى الدامر ، أو بعض الاصفياء فى مدن السودان النائية أو فى الكلمات التى كانت تقدم بها الصحف قصائده ولكن هذا

١ ــ من رسالة خطية عثرنا عليها بين أوراق الكردى .

لم يسح من نفسه الاحساس بضياعه وضياع شعره وشد ما كان يؤلمه ألا يقدر الشعراء من أبناء جيله شعره ، وألا يستحسنه زملاؤه ، ممن يقرأه عليهم أو يمتدحهم به ، فهاهو يتحدث الى أحد الشعراء الذين تعودوا ذمه وتجريحه :

انى برغمك شاعر برزت فى ... نظم القريض وحزت كل نجاح
اخسأ ودع ذمى فانك جاهل ... كم قد حسبت الجد مثل مزاح

وكان يحس ضياع شعره لدى الجهلاء الادعياء :

نظمت له دالية من بلاغة ... حوتها غدت يا هذه حبب الخمر
فضاق بها ذرعا وضاعت بجهله ... كما ضاع قطر المزن فى مهمة قفر

ويحس الشاعر مرارة النقمة التى يصبها عليه هؤلاء اللئام ، فتثور حميته ويحتد مزاجه وينفعل فيقول :

نقموا علىّ وما جنيت وانما ... قد ساءهم عنى يقال اديب
وتعمدوا ذمى بكل نقيصة ... حيث النبوغ لدى اللئام ذنوب

ثم يبلغ قمة انفعاله حين يقول :

فليعلم السفهاء انى فوقهم ... علما وشأنى بالذكاء عجيب

ولم يقتصر عدم التقدير على كونه شاعرا أراد أن يسمع صوته للآخرين ، ولكنما أحس عدم التقدير هذا من رؤسائه وهو الموظف الذى يؤدى واجبه باخلاص وتفان، بيد أنه يصون كرامته واباءه :

غيرى يسود وان طلبت مكانتى ... قالوا اساء وابرقوا بوعيدى
لا ذنب لى غير الكرامة صنتها ... فى موقف حرب على الرعديد
ومن الاباء المرء يعرف قدره ... ومن الحفيظة عزمة الصنديد
اخلصت فى عملى ولم يك شافعى ... وحفظت ودهمو بغير عهود
فجزيت ارهاقا وقدماً لم يزل ... عيش الكريم الحر غير رغيد

وفى هذا الشعر نسمع صوت الموظف البائس الذى غلب على أمره والذى حرم من أبسط حقوقه ، والذى لم يقدر رؤساؤه ما يؤدى من واجب .

حيـــاته :

فتح الكردى عينيـــه ولهيب الثورة المهدية يلتهم أقاليم السودان واحدا تلو الآخر وأسس الحـــكم التركى تنهـــار ، والسودان يسلك طريقا جديدا ، باحثـــا عن شخصيته وسط رماد الحرب ومخلفات العهد التركى القديم •

درج الكردى وعرف الحياة فى سواكن التى تجاذبتها قديما وحديثا سلطات وممالك ، مخلفة فيها آثارا من حضاراتها وعاداتها ، وأخلاقها ، عمـــارة وفنا ، غنى وترفا ، علمـــاودينا ، وغير ذلك • كما قضى شطرا من حياته فى الدامر بين حلقات العلم والذكر •

وفى شرق السودان عرف الميرغنية ، وتقرب اليهم واسترشد بهم ، واعتقد فيهم • وتنقـــل الكردى فى أقاليم الســـودان المختلفة ، واختلط باصناف من الناس •• رأى وسمع الكثير ، وعاش حياة طويلة عامرة ، عاصر فيها أحداث السودان الكبرى •••• وتطور الحركة الوطنية ، الحروب الوطنية ضـــد الاستعمار البريطانى ، ثورة ١٩٢٤ ، قيام مؤتمر الخريجين العـــام ، نشأة الاحزاب الســـودانية الحـــديثة ، الجمعيـــة التشريعية وما أعقبها من تطور •

وقـــد عاصر أيضا الحـــربين العالميتين ، وحـــرب فلســـطين سنة ١٩٤٨ وما جد من أحداث وتطورفى العالم •

وشهد تغير الحياة الاجتماعية السودانية ، منذ أن وطئت أقـــدام الجيش الفاتح أرض الوطن فى أواخر القرن التاسع عشر ، وشهد نمـــو المـــدن الكبرى ، وظهور الطبقـــة الوسطى فيها ، وما طرأ على حيـــاة أفرادها من تغيير ، وتابع مسيرتهـــا نحو النمو والحـــرية والاستقلال •

والكردى الـــذى عاش أكبر شطر من حيـــاته فى أقاليم السودان اتصل بأناس بسطاء جبلوا على صفات البـــداوة ، من شجاعة ومروءة وكرم ووفاء وصدق ، ولكنه عندما استقر فى المدينة ، فى أواخر ســـنى حياته ، صدمته بما مسها من تطور وتغيير ، وما طرحته أمام عينيه من قيم جديدة وسلوك مغاير لما عرف من قبل •

وقد عاش الكردى هذه الحياةالطويلة العامرة ، يحس الضياع وسط بحر متلاطم من المشاعرالقبلية ، يقعده فقره عن بلوغ آماله وتحقيق أمانيه ، يسخر منه الناس ولا يقدرن موهبته ، ترقبه أعين رؤسائه وتحصى خطواته ، ساخطين عليه ، مزدرين به فيجد البحث عن ملجأ يلتجىء اليه ، وظل يستريح تحته من هجير الحرمان ، وجماعة ينتمى اليها حتى يزول عنه الاحساس بالضياع والغربة ، ومجتمعا مثاليا يخفف عنه آلام المجتمع الذى اضطهده وعذبه • فانتفضت نفسه الشاعرة تحلق فى أمجاد بعيدة يعانق فيها أهله الاكراد ، ويلتقى بامجاد الامة العربية ، ويسمو الى الذات العلية والذات المحمدية ويتوسل الى الله تعالى والى نبيه الكريم ،ويلوذ بالاولياء والاقطاب الصالحين من عنت الدنيا وجورها ، وعندمايلتفت الى واقعه يصب سخطه على الاستعمار وعلى الحياة الجديدة التى جلبها معه ، وعندما تصفو نفسه وتهدأ ، يلتفت الى أصدقائه وأصفيائه يبادلهم ودا بود ، وحبا بحب ، ومن خلال كل هذا يظهر الكردى متشامخا متعاليا على الناس محبا لذاته ممجدا اياها •

وهكذا عاش الكردى ، باحثاعن متنفسات تريحه وتهدىء من روعه ، متفرغا لكتابة الشعر حتى ترك هذا التراث الضخم الذى لايقل عن عشرة ألف بيت من الشعر • ❊

❊ هذه الدراسة عبارة عن باب من أبواب الرسالة التى تقدمت بها لجامعة الخرطوم لنيل درجة الماجستير بعنوان « تحقيق ديوان الكردى » والرسالة لم تطبع بعد .